اعتداداً به وتنبيهاً على منزلته وأن له مكاناً في باب الخير وسيطاً والدليل
على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله فإن الله
كان عفواً قديراً أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم
أن تقتدوا بسنة الله إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر
ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم
الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً جعل الذين
آمنوا بالله وكفروا برسله وآمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض
كافرين بالله ورسله جميعاً لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين
ذلك سبيلاً أن يتخذوا ديناً وسطاً بين الإيمان والكفر كقوله تعالى
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً أي طريقاً
وسطاً في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطئوا فإنه
لا واسطة بين الكفر والإيمان ولذلك قال أولئك هم الكافرون حقاً
أي هم الكاملون في الكفر وحقاً تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو
عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة
لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً يقيناً لا شك فيه
والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف
نؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً فإن قلت كيف جاز دخول
بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعداً قلت إن أحداً عام في الواحد
المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحداً فتقصد العموم
ألا تراك تقول إلا بني فلان وإلا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين
اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف
نؤتيهم أجورهم معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به
توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً يسألك أهل الكتاب أن
تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا
أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطاناً مبيناً روي أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء
وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبياً صادقاً
فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتاباً إلى
فلان وكتاباً إلى فلان بأنك رسول الله وقيل كتاباً نعاينه حين ينزل
وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي
يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب
لشرط مقدر معناه إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى
أكبر من ذلك وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى

وهم

وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم
في التعنت جهرة عياناً بمعنى أرناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية
ولو طلبوا أمراً جائزاً لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم
عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالماً ولا رماه بالصاعقة فتباً
للمشبهة ورمياً بالصواعق وآتينا موسى سلطاناً مبيناً تسلطاً واستيلاء
ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه
واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليخافوا ولا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجداً ولا
تعدوا في السبت وقد أخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا
ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ذلك وقرئ لا تعتدوا ولا
تعدوا بإدغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله
وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون إلا قليلاً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً فبما نقضهم
فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فإن قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد
قلت إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما
أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما
نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن
إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك فإن قلت هلا زعمت
أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير
فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا
التقدير لأن قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان
متعلقاً به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفاً أي في أكنة
لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله تعالى عن المشركين وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف
بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفاً غير قابلة للذكر ولا
متمكنة من قبوله فإن قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه أن يعطف
على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاماً تبع قوله وقالوا قلوبنا
غلف على وجه الاستطراد ويجوز العطف على ما يليه من قوله بكفرهم فإن قلت
فما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف
الإضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت
قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم
فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه
كأنه قيل فجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا